

## سامحيني يا أمي د.صلاح محمد الشيخ



من الذي يقوم مقامها ؟ ومن الذي يصبر صبرها ؟ ومن الذي يسدُّ ثغرها حال غيابها؟ إنها الأم !  
تُرى أي موقع تحتله الأم في نفوس أبنائها !

وأي تقدير تحظى به في مخاطبتها ومعاملتها ، والاهتمام بشؤونها .  
الأم ؛ في حضانها تربية ، وعلى رعايتها ، وشفقتها ، وخوفها عليك ترعرت ،

تحرم نفسها لذة الطعام ؛ لتطعم أنت ، تسهر ليلها لتنام أنت ، تفرح لنجاحك وتفوقك ، وتحزن لحزنك ، بل تمرض لمرضك ، إنها الأم ؛ أي إنسانة هذه ؛ التي تبذل نفسها ، لأولادها ، على حساب صحتها ، ومطعمها ، ومشربها ، مسيرة عُمر من السنين ؛ وهي تعطي وتبذل ، حتى بعد استقلال أبنائها وبناتها بتكوين أسرة جديدة ، وهي تتابع وتساعد وتشفق ، وتحمل وترعى أحفادها ، وتفرح لفرحهم وتحزن لحزنهم ، إنها الأم !

يا إلهي!

أين نحن !!

من هذه الغفلة ، وهذا النسيان ، والانشغال بالدنيا ، والعمل والارتباطات ، والزلاء ، والأصدقاء ، أين نحن !  
من الإحسان ، لهذه الجوهرة المكنونة ، التي ليس لها بديل ، ولا عدل .

أين نحن !

من وصية ربنا بها ( ووصينا الإنسان بالديه إحسانا ، حملته أمه كرها ، ووضعته كرها ) .

أمي ، سامحيني ؛ كم ، أنا مقصر في حقك ،

أعطيك فضل وقتي ، أجاول أرضيك ، لكنني مستعجل ، أراك تقبلين مني الحد الأدنى

من الخدمة والبر ، أحياناً ينفلت لساني بعبارة ( أمي عندي موعد ) لو تأجلين طلبك ، مشغول شوي ، سرعان ما تنطبق شفتاك ، وتخجلين من إخراجي ، وتقولين

لا عليك يا ولدي ، لا تهتمين يا بنتي ؛

نؤجل إلى وقت فراغك .

يا إلهي ، كم أنا غافل ، كم أنا لاهي ، أهنالك ارتباط أعظم ، من بر الأم ، وخدمتها ، أهنالك شخص ؛ أعزُّ وأجلُّ ، ممن ، كان بطنها وعائني ، وثديها غذائي ، وحجرها منامي .

يا إلهي ! ما هذا الجحود ! وكفران النعمة ، أليس الله جل وعلا ، قرن برها وطاعتها بعد توحيدهِ ، قال الله تعالى ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما ، أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريماً ) ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً ) .

جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن الصحبة ، قال : ( أمك ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك ، ثم أذنك أذنك ) رواه البخاري ومسلم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

استغفرالله ، ( ولا تقل لهما أف ) رحماك

ربي ، ما أهون هذه الكلمة في عقولنا ، ومشاعرنا ، كم تلفظنا ، أمام أمهاتنا ؛ بأعظم من ذلك ، كم تغيرت ، ملامحنا تضجراً من تصرفات أمهاتنا ، وطلباتها ( إلا مارحم ربي )

سامحيني يا أمي ؛ ما عرفت قدرك ، حق المعرفة ، اعتمدت على طيبة قلبك ، وحلمك ، وعطفك ، فنسيت واجبي تجاهك ، بل نسيت برك ، وربما وصل الأمر في بعض تصرفاتي تجاهك ؛ إلى الدخول في دائرة العقوق .

كم تجاوزتني بقلبك الكبير ، وسعة صدرك

عن هفواتي وتقصيري في حقك .

أمي أرجوك ، سامحيني ،

يا من كانت أمه ، أمها ، على قيد الحياة ، احمد الله ، وامسك غرزها ، تلهذ بطاعتها ، تمتع بموانستها والتحدث معها ، إملأ عينيك برؤيتها ، فسرعان ما تغيب عن ناظرِكَ ،

واعلم ، مهما قدمت من بر ، وخدمة ؛ فلن توفيتها حقها ،

رأى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً يحمل امرأة عجوزاً على ظهره ويطوف بها البيت الحرام . فسأله: من هذه؟ قال له: إنها أمي، أتراني قد وفيتها حقها يا ابن عمر؟ فقال له ابن عمر: والله مهما فعلت بها فلن يعدل ذلك طلاقة واحدة ، طلقها فيك ، ساعة ولادتها .

احذر أن تكون أمك آخر اهتماماتك ، أو تعطيتها فضل أوقاتك ، إذا زرتها ، أو كنت بجانبها ، لا تكن أمامها جسداً ، بلا روح ، ولا مشاعر ، لا يكن حديثك في عالم آخر ، وابتساماتك ، تسبح عبر الفضاء ، للزملاء أو الأصدقاء ، ( عبر جوالك ) لا تجعلها ترى الابتسامة منك ، لكنها غير موجهة لها ، ترى الأم ، نهجها الصمت ، والتغافل ، والنسيان لكل مواقف تراها من أبنائها لا تعجبها ، لكن الفطن يلاحظ ذلك في مشاعرها ، ولغة جسدها .

كن ! يا رعاك الله : بجانب أمك ، فهي في أمس الحاجة لك ، رد لها بعض الجميل في سنوات مضت ! كنت في حاجة رعايتها ( طفولتك ) لقد قامت بالدور على أكمل وجه ، ويبقى الآن دورك ( وإما يبلغن عندك الكبر أحدهما ، أو كلاهما ..... )

أشعر أمك ، أنك في حاجتها ، وأن دورها لم ولن ينقطع ، شجعها على أي دور تقوم ، به ، بل اشكرها ، وامدحها ، لا تسمع منك أي عبارة أو تصرف يشعرها بكبر سنّها ، أو تقادم ثقافتها ، لا تناديها بكلمات تشعرها بالخجل أو الضعف ( العجوز ، الكهلة ، ..... )

نادها بأحبّ الألفاظ : يا أماه ، يا أمي ، يازهرة فؤادي ، يا أغلى ما في الوجود ، بهذا النداء ، وهذا الأسلوب ؛ سنتسمع الدعوات لك ولأولادك ، أنت في أمس الحاجة لها .

أما من غابت أمه عن عينيه ، فالبر موصول ، لها بالدعاء والاستغفار ، والإحسان إلى قريباتها وصديقاتها ، ومن هم نسب لها ، ابحث عن رفيقات أمك في دربها وصديقاتها اللاتي كنّ معها في حياتها ، واسهم بهدية ، أو أي إحسان لهنّ ، تدخل السرور عليهن ، ويتذكرن أمك وسيرتها ، فيدعين لها ، وعليك إنفاذ وصيتها إن كان لها وصية ،

أذكر أمك بصدقة جارية ؛ مساهمة في وقف خيري ، أو في مسجد ، أو في حفر بئر ، أو كفالة يتيم ، أو أي سهم خيري .

سامحيني يا أمي : تلك خاطرة ، سطرتها باختصار عن غفلتنا تجاه أمهاتنا ، وتقصيرنا في البر بهن ، لعلها تكون لنا ذكرى ، فتذكر البار ، فيزداد برّاً ، وتوقظ الغافل فيتدارك ما فاتته بالتوبة وطلب السماح ( سامحيني يا أمي )

ولنعلم ، جميعاً ، أننا قدوة لأبنائنا ، في هذا البر ، فطفلك يقلدك ، في كل أفعالك تجاه أمك ، ففي مرحلة الطفولة ، يسجل ويحتفظ بالمواقف ، إيجابية كانت أو سلبية ، ثم يترجم ذلك واقعاً حال نضوجه وشبابه ( وكما تدين تدان )

د.صلاح محمد الشيخ  
مستشار أسري وتربوي